



(٢٧٧) (٢٨٩)

العدد التاسع
والأربعون

الراوي الملتبس في رواية نشيد الرجل الطيب

م.د. مروة ياس شمال

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

mshimal@uowasit.edu.iq

المستخلص:

يتناول هذا البحث تقنية الراوي الملتبس في رواية نشيد الرجل الطيب للروائي الأردني قاسم توفيق، بوصفها إحدى التقنيات السردية الحديثة التي أسهمت في إعادة تشكيل العلاقة بين الراوي والنص والقارئ، والانتقال من سلطة الراوي العليم إلى أنماط سردية أكثر تعقيداً وانفتاحاً على التأويل. ويهدف البحث إلى الكشف عن طبيعة الراوي الملتبس ووظائفه الفنية والدلالية، وبيان أثره في بناء الشخصيات والأحداث وتشكيل المعنى داخل الرواية، فضلاً عن تتبع دوره في توجيه الرؤية السردية وإنتاج الدلالات الكامنة في النص.

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي في مقارنة النص الروائي، متتبعةً آليات السرد التي وظفها الكاتب في بناء عالمه الروائي. وقد بينت الدراسة أن الرواية تقوم على تعدد الأصوات وتناوب الضمائر وتداخل مستويات الوعي، الأمر الذي جعل الراوي يتأرجح بين موقع المشاركة والمراقبة، وبين المعرفة والجهل، مما أسهم في خلق حالة من الغموض السردى المنتج للدلالة. كما كشفت الدراسة عن أن شخصية مسعود الصانع تمثل المركز السردى الرئيس الذي تتقاطع عنده الأحداث والرؤى، في حين أسهمت الشخصيات الأخرى في توسيع أفق التأويل وإبراز تعقيد التجربة الإنسانية وتناقضاتها.

وأظهرت النتائج أن الراوي الملتبس لم يكن مجرد وسيط لنقل الأحداث، بل أداة فاعلة في إنتاج المعنى، إذ أسهم في تقديم الشخصيات والأمكنة بصورة غير مكتملة، وترك مساحات واسعة للقارئ للمشاركة في بناء الدلالة واستنتاج الحقائق. كما كشفت الرواية عن أبعاد سياسية واجتماعية ونفسية عميقة، عكست أزمة الإنسان العربي في مواجهة السلطة والاعترا ب والذاكرة والمصير، وأبرزت أثر التحولات الفكرية والاجتماعية في تشكيل وعي الشخصيات ومواقفها. وخلص البحث إلى أن تقنية الراوي الملتبس تمثل إحدى أبرز السمات الجمالية والفكرية في الرواية، وأنها أسهمت في إثراء البنية



السردية والدلالية للنص ومنحه طاقة تأويلية واسعة، بما يعزز فاعلية التلقي ويجعل القارئ شريكاً في إنتاج المعنى وفهم أبعاده المتعددة. الكلمات المفتاحية: الراوي الملتبس، البنية السردية، تعدد الأصوات، الدلالة، نشيد الرجل الطيب.

The Ambiguous Narrator in the Novel Anthem of the Good Man

Assist. Prof. Dr. Marwa Yas Shemal

University of Wasit / College of Education for Human Sciences /
Department of Arabic Language

Abstract

This study examines the technique of the ambiguous narrator in The Anthem of the Good Man by the Jordanian novelist Qasim Tawfiq, considering it one of the modern narrative techniques that has contributed to reshaping the relationship between the narrator, the text, and the reader, while moving beyond the authority of the omniscient narrator toward more complex and interpretively open narrative forms. The study aims to investigate the nature of the ambiguous narrator and its artistic and semantic functions, as well as its role in constructing characters, events, and meaning within the novel. It also seeks to trace the narrator's contribution to directing the narrative perspective and generating the implicit meanings embedded in the text.

The research adopts a descriptive-analytical approach in examining the novelistic text, focusing on the narrative mechanisms employed by the author in constructing his fictional world. The study reveals that the novel is based on a multiplicity of voices, shifting pronouns, and overlapping levels of consciousness, which place the narrator in a fluctuating position between participation and observation, as well as between knowledge and uncertainty. This narrative ambiguity contributes to the creation of a productive semantic complexity. The analysis further demonstrates that Masoud Al-Sanea functions as the central narrative focus through which events and perspectives converge, while other characters expand the horizons of interpretation and highlight the complexity and contradictions of human experience.



The findings indicate that the ambiguous narrator is not merely a medium for conveying events but an active instrument in generating meaning. Through presenting characters and settings in an incomplete manner, the narrator leaves significant interpretive gaps that encourage readers to participate in constructing meaning and uncovering narrative truths. Moreover, the novel presents profound political, social, and psychological dimensions that reflect the crisis of the Arab individual in confronting authority, alienation, memory, and destiny, while also revealing the impact of intellectual and social transformations on the consciousness and attitudes of the characters. The study concludes that the ambiguous narrator constitutes one of the most prominent aesthetic and intellectual features of the novel, enriching its narrative and semantic structure and endowing it with broad interpretive potential, thereby enhancing reader engagement and making the reader an active participant in the production of meaning and the understanding of its multiple dimensions.

Keywords: Ambiguous Narrator, Narrative Structure, Polyphony, Meaning, The Anthem of the Good Man.

المقدمة

تعدّ الرواية من أهم أشكال التعبير الأدبي، إذ تمتزج فيها براعة السرد الفني مع عمق التحليل النفسي، ودقّة الرصد الاجتماعي، لتشكل فضاءً متكاملًا يتيح للكاتب استكشاف دواخل النفس البشرية وتعقيدات الواقع المعاش، وقد شهدت الرواية الأردنية الحديثة تحولات نوعية في بنيتها السردية، انتقلت فيها من الواقعية التقليدية إلى تقنيات سردية متطورة تعكس التغيرات الفكرية والنفسية للشخصيات والمجتمع.

هنا في الأفق السردّي هذا يتجلّى الراوي الملتبس بوصفه تقنية حداثيّة تسعى لتفكيك مركزية الراوي العليم في بناء الرواية، إذ يتيح للكاتب أن يُبصر العالم من زوايا متعدّدة، متحوّلًا بين ضميري الغيبة والتكلم، فيُضفي على النصّ كثافةً دلاليّةً وتعدّدًا صوتيًا ولغويًا وفكريًا يفتح فضاء الرواية على احتمالات لا نهائية للتأويل.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل بنية الرواية الأردنية المعاصرة عبر أنموذج رواية (نشيد الرجل الطيب) لـ(قاسم توفيق)، مع التركيز على وظيفة الراوي الملتبس وتأثيره على الشخصيات والأحداث وفهم القارئ، متمثلًا ذلك بتمهيد ومباحث ثلاثة وخاتمة تبرز أهمية هذه التقنية السردية.



هدف هذا البحث إلى تحليل الراوي الملتبس في الرواية عن طريق دراسة بنيته ووظائفه السردية والدلالية، مع إبراز قدرة الروائي على توظيف الراوي كأداة لإنتاج المعنى لا مجرد نقل الأحداث.

التمهيد: الرواية الأردنية وتقنيات الراوي الحديثة

شهدت الرواية الأردنية منذ منتصف القرن العشرين مساراً متنوعاً بين التعبير عن الواقع السياسي والاجتماعي، وبين البحث عن أدوات سردية جديدة لتقديم الأبعاد النفسية والفكرية للإنسان العربي، إذ لم يعد مجموعة من الأنظمة المتوارثة والتقاليد المتبعة بين الأجيال ليحكم على أدبية الأديب أو عدمها؛ بل النص الأدبي اليوم هو ولادة حالة كتابية تأتي من تلقائها ينظر: (لبن، ١٩٩٩، صفحة ٤٦). أسهم ذلك التلاعب في التقنيات على خلق تجربة قرائية تتجلى فيها التفاعلية والعمق التحليلي.

عرفت الرواية الأردنية منذ ستينيات القرن الماضي مساراً متميزاً في السرد العربي الحديث، إذ نهضت على همّ مزدوج: التعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي، والبحث عن أشكال فنية تعبّر عن قلق الإنسان المعاصر. وقد تأثرت الرواية الأردنية في بداياتها بالمد الواقعي السائد، لكنها سرعان ما انتقلت إلى الواقعية التأملية التي تمنح الذات الساردة حضوراً فاعلاً في إعادة تشكيل العالم ينظر: (السمر، ١٩٩٤، الصفحات ٢١-٣٥)، وللاستزادة ينظر: (المجالي، ٢٠٠٨، الصفحات ٥-١٤)، و (الله، ٢٠١٠، الصفحات ٩-٢٠).

اتجه السرد الأردني مع الجيل الجديد من الروائيين، ومنهم قاسم توفيق نحو تحليل الوعي الذاتي والنفسي، فأصبحت الرواية فضاءً لطرح أسئلة الوجود، والذاكرة، والهوية، والعلاقة بالآخر، ومن ثم لم تعد الشخصيات مجرد أدوات لتحريك الحدث، بل تحولت إلى مرايا تعكس اضطراب الإنسان العربي في زمن التحولات ينظر: (حداد، ٢٠٠٢، الصفحات ١٧-٣٢)، وينظر: (نضال، ٢٠٠٥، الصفحات ١١-٢٨).

إنّ من أهمّ تطورات هذا السياق هو الانتقال من الراوي العليم التقليدي إلى الراوي الملتبس الذي يتعذّر الجزم بهويته في النص السردية، فلا يُدرى أهو عليم بكلّ شيء أم مشارك في الحدث، إذ تظهر فيه براعة القارئ الحاذق المتبصر الذي يتسلل إلى أعماق النص ليكتشف ماهية هذا الراوي عن طريق ما يشي به السرد من مؤشرات وإيحاءات دالة ولو على نحو خفي على نمطه السردية. إنها تقنية سردية حديثة لم تتل بعد ما تستحقّه من دراسة أو تمحيص نقدي يبيّن أبعادها الجمالية والأيدولوجية، هذا من شأنه أن يتيح للقارئ رؤية الأحداث من منظار معين، مع الحفاظ على



عنصر الغموض والتأويل، ما يعكس المرونة الفكرية والإبداعية للرواية المعاصرة، ينظر: (يقطين، ١٩٩٧، الصفحات ٥٢-٥٣).

المبحث الأول: الراوي الملتبس في رواية نشيد الرجل الطيب لـ قاسم توفيق

يُعدّ السرد الروائي من أبرز الفنون الأدبية التي تسمح بالتحزّر التجريبي، إذ تمثل الرواية مختبراً لتغيرات الرؤية والشكل، بما يعكس تحولات الوعي الإنساني والفني على حدّ سواء، وقد شهدت الرواية العربية المعاصرة تحولاً واضحاً في بنيتها السردية، خاصة فيما يتعلق بموقع الراوي وطبيعة صوته، إذ غدا عنصراً إشكالياً يعبر عن أزمة الذات العربية في علاقتها بالعالم، لم يعد الراوي مجرد ناقل أمين للأحداث، بل أصبح جزءاً من شبكة معقدة من الوعي واللاوعي، الحقيقة والوهم، الرؤية والتأويل، وهو ما يتجسّد في مفهوم الراوي الملتبس (ينظر: (يقطين، ١٩٩٧، الصفحات ٤٨-٥٢).

رواية نشيد الرجل الطيب للروائي الأردني قاسم توفيق تقف في ضمن هذا الأفق الفني والفكري؛ إذ أقام الكاتب بناءه السرد على تعدّد الأصوات وتداخل وجهات النظر، ما جعل الراوي في النص يبدو متغيّر الضمير، متقلّباً بين ضمير (أنا) و(هو)، وثالثة يتوارى خلف الشخصيات، فيصبح القارئ أمام نصّ متشظّ يتداخل فيه الأزمنة والرؤى، حتى يصعب تحديد حقيقة.

أولاً: تحوّل تقنيات السرد من الراوي العليم إلى الراوي الملتبس

مثّل الراوي العليم إحدى سمات الرواية التقليدية، إذ يقف في موقع السيطرة المطلقة، يطل على الأحداث من علّ، مطلعاً على خفايا الشخصيات ومآلاتها. لكن الرواية الحديثة نسفت هذا الموقع، وراحت تعيد النظر في العلاقة بين السرد والمُسرّد، فبرزت أنماط جديدة: الراوي الشاهد، الراوي المشارك، الراوي غير الموثوق، والراوي الملتبس الذي يجمع بين صفات متناقضة ينظر: (يقطين، ١٩٩٧، الصفحات ٤٨-٥٢).

الراوي الملتبس لا يُقدّم العالم من زاوية واحدة، بل يربك القارئ بتعدد الأصوات وتتوابع الضمائر، فلا يعود هناك يقين في ما يُروى له. إنه يجسد تفكك الوعي المعاصر وأزمة الحقيقة في عالم لم يعد فيه اليقين ممكناً. توظيف هذا الراوي عند قاسم توفيق يظهر كأداة فنية ووعي فلسفي يعكس هشاشة الإنسان أمام الموت، والذاكرة، والسلطة، والوجود ذاته. أي أنّ الراوي الملتبس يُحوّل اللغة إلى شيفرة سردية مغلقة لا تكتمل متعة قراءتها إلّا بفك رموزها، إذ يُربك المتلقّي ويستدرجه إلى فضاء النص ليبحث عن المعنى الكامن خلف الكلام. فهو لا يكتفي بأداء وظيفة الحكيم، بل يُقدّم ذاته بوصفه جزءاً من الحدث، وصوتاً فاعلاً داخل العالم الروائي، بحيث تتداخل لغته مع لغات



الشخصيات، فيغدو الراوي هنا شخصيةً تُروى وتُروى عنها في آنٍ واحد، فينصرف اهتمام القارئ إلى صوته لا إلى الحدث نفسه، وإلى أسلوبه أكثر من وقائع الحكاية ينظر: (العذاري، ٢٠١٣)، وينظر: (ابراهيم، ٢٠١١، الصفحات ١١٢-١١٥).

ثانيًا: تعدد الأصوات وتناوب الضمائر

عندما يكون الراوي متطابقًا مع الشخصية الرئيسة، يقع القارئ تحت سلطة أفكاره وأيديولوجياته وتصويراته، التي تكون محلَّ شكٍّ وعدم تسليمٍ بكل ما يرويهِ؛ لأننا نرى العالم بعينه، وندخل فضاء الرواية من زاويته وحده، هنا يجب توخّي الحذر والدقّة في تلقّي ما يرويهِ.

هكذا بُنيت رواية "نشد الرجل الطيب" للروائي الأردني قاسم توفيق، إذ يتبدّى للمتلقّي بعد انتهائه من القراءة أنها قائمة على ثلاثة رواة: أولهم كما يظهر في بداية الرواية مسعود الصانع، الشخصية الرئيسة التي تتعرّض لحادثٍ مميتٍ، لا تتعدّى نسبة نجاحه ١٠%، فهو في مرحلةٍ بين الحياة والموت، إذ يقول: "أواه، أين توارى عنادك أيها البغل؟" الصورة أمامه غامضة، هل ما يراه حقيقة أم شيء من أوهامه التي اعتاد أن يصدّقها" (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ١٣) كان في حوارٍ محتدمٍ مع نفسه داخل غرفة الإنعاش، أمّا الراوي الثاني، فيبدو كليّ العلم، لأنه يسرد الأحداث بضمير الغائب، لكنه في الوقت نفسه لا يحمل اسمًا أو ملامح تُثبت أنه أحد شخوص الرواية. وهذا ما يثير ريبه القارئ، إذ تبدأ المفارقة منذ البداية بعد أن نقل لنا حوار مسعود الداخلي ويتضح ذلك من عبارته الأولى وبقية سرده: "لسببٍ ما لا يعرفه، من ذا الذي يقدر على الابتسام في مكانٍ وزمانٍ مكتضين بصخبٍ يتعجّر بصمتٍ مثل هذا الذي هو فيه؟ من أيّ عوالمٍ يمكن أن تأتي الابتسامة؟ ما الذي يجول في خاطره؟ أليكون مبيتًا؟ المكان موعّلٌ في الغرابة... إلخ" (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ١٤، ١٣) من الجمل المثقلة بالتساؤلات وعدم التمكن من الفهم والمعرفة، إذ يُفقد النصُّ يقينه المعرفي، وما هو مسلّم به أنّ الراوي كليّ العلم عادةً يكون مطلق المعرفة، يتحدث بلغة الوثائق من كلامه، العارف المطلع على كل خفايا الرواية، القادر على النفاذ إلى وعي الشخصيات وإدراك ما يدور في مجاهل تفكيرها المضمّر. إلا أنّ هذا الراوي على الضد من ذلك، إذ يتسم سرده بالتّيه والالتباس، فلا يمنح القارئ إجابةً أو توضيحًا لما يطرحه من تساؤلات.

وتتضح سمةً أخرى اتّصف بها هذا الراوي، هي تدخّله الصريح في محاولة تشكيل وعي القارئ وتوجيهه، عن طريق عباراتٍ تفسيريةٍ تُثبت بكثرة على امتداد متن الرواية، من مثل: "المفارقة العجيبة في تجربة اعتقال حنا لأربعين يومًا تكشفّت لرفيق... ليس مخبرًا مندسًا عليه؛ أنه ليس شيعيًا" (



(توفيق، ٢٠٢١، صفحة ٣٢)، إذ إنه يتدخل ويعطي انطباعات من زاوية نظر واحدة، فهو لا يكتفي بالسرد، بل يوجّه القارئ نحو زاوية نظرٍ محددةٍ، هي رؤية مسعود الصانع الذاتية، لا رؤية راوٍ خارجيٍّ محايد، والراوي الثالث هو غازي العبد، الشخصية الرئيسة الثانية التي تسير بخطٍّ متوازٍ مع شخصية مسعود، إذ يمسك بزمام السرد منذ الجزء الثاني من الرواية. ويبدأ بالتعريف بنفسه من طريق المطار الذي ذهب إليه مع أبيه صاعدًا إلى مبنى شركته، ليمنح القارئ انطباعًا بأنه ابنٌ لرجلٍ يعشق الثراء ومهووسٌ بجمع الأموال، وقد ركّز على هذه الرحلة تحديدًا لأنها كانت بطلبٍ من أبيه الذي أصرَّ على اصطحابه لسببٍ مهم، إذ إنّ تلك الرحلة إلى بريطانيا ستحدث - كما قال الأب - تغييرًا عظيمًا في حياتهما، وقد خاطبه الأب بلهجةٍ جادةٍ وحازمةٍ ليحدّ من طيش ولده قائلاً: "اسمع يا ولد وافهم، سوف نصبح من الأباطرة، ليس في الأردن فقط، بل على الكرة الأرضية" (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ٥٥).

وقد نُقلت الأحداث الخاصة بفصول غازي العبد من وجهة نظره وحده، ولم يُلاحظ أيُّ تدخلٍ من شخصيةٍ أخرى، حتى حبيبته نادية التي كانت تعشقه بكل جوارحها؛ فلم يعرف ما كان في سريرتها، بل اكتفى بما يراه منها، حتى بعد زواجه، فإنها لم تتركه وبقيت مخلصه له في ظنّه؛ بيد أنّ ما كان يراه هو غير ما كانت تُضمّره في أعماقها؛ إذ كانت حاقدةً عليه أشدّ الحقد، ذلك الحقد الذي دفعها إلى قتله، حين غرست في عنقه ملقطًا صغيرًا خاصًا بها.

إنّ هذا النوع من الرواية، بما يتصف به من التباسٍ وغموضٍ وتداخلٍ بين الأدوار، يعبر عن تحوّلٍ فنيٍّ في بناء السرد؛ بيد أنه في الوقت نفسه يُعيد إلى الأذهان نمط الراوي العليم الذي أنهك استخدامه في الرواية التقليدية، فغدا هنا نسخةٌ مغايرةٌ مشوّشة، تثير الأسئلة أكثر مما تقدّم الإجابات ليترك للمتلقّي فرصة المشاركة في عملية الإبداع بما يقدمه من تفسيرات وأفكار تختفي وراء السرد.

ثالثًا: أثر الراوي الملتبس في تصوير الشخصيات

إنّ الرواية تنفتح على مدياتٍ من الإبداع الفنيّ في التلاعب بتقنياتها، بدءًا من الراوي وصولًا إلى شخصياتها التي بدت مغيبة الملامح؛ إذ لم يُلاحظ أيُّ وصفٍ خارجيٍّ لها، سواء أكانت رئيسةً أم ثانويةً أم هامشية، باستثناء الطبيب (حنّا) الذي اكتفى بوصفه شابًا نحيلًا، وجهه مستطيل، بعينين واسعتين، وفمٍ مضموم، من وجهة نظر راوٍ ملتبس لا يمكن تحديده بدقة، ويظهر لاحقًا أنّ هذا الراوي هو مسعود الصانع، الذي تتراءى له صورٌ ضبابية يحاول أن يلتقطها ليدوّنّها في ذاكرته أمام حبيبته لمار.



ولا يخفى ما للبعد الخارجي من أثر في سلوك الشخصيات، سواء أكان تأثيراً سلبياً أم إيجابياً، كمحاولة للكشف عن أغوارها الفكرية والنفسية؛ إلا أنّ تصوير أبعاد الشخصية قد غُيِبَ في هذه الرواية، ولعلّ السبب في ذلك أنّ الراوي الأهمّ والأبرز هو مسعود الصانع نفسه، الذي ينازع وجوده بين الحياة والموت، في عالمٍ معلقٍ ليس فيه سوى الألم وطيفٍ خفيفٍ قبيحٍ، وكوابيسٍ أدمت روحه. لقد كان حادثه المروّع على يد شابٍ طائشٍ هو المنعطف الذي جعل حياته تميل بعيداً عن كلّ ما كان يتخيله ويحلم به ويأمل أن يكونه، في مرحلةٍ أطلق عليها مسمياتٍ عدّة مثل: غرفة الإنعاش، الخلود، ما بعد الهذيان، والمرحلة التي بين الحياة والموت. فضلاً عن خوفه وتوجّسه من الملاحقة الأمنية التي تركت أثراً عميقاً في ذاته.

يمكن للقارئ أن يلتقط لحظة تدوين هذه الرواية عندما تجلس (لمار) بجانب حبيبها مسعود لتخفّف عنه ألمه، وتحاول تذكره بأشياء كان يعيشها، إذ أصبح بعد الحادثة ذاكرةً مهترئة لا يتذكّر شيئاً سوى مسمياتٍ قليلة للشخصيات التي مرّت بحياته مثل (الطبيب حنا) و(أم نبيل). وكان كلّ من (لمار) و(الممرّض) يحثّانه على تدوين كلّ ما يمرّ بباليه، ويؤكدان له أنّ هذا التدوين هو خلوده الحقيقي.

وقد أخبرها بأنّه يكتب أفكاره في رأسه، بينما كانت تُصرّ هي على أن يكتبها في الدفتر الذي أحضرته له، إذ لم يتمكّن مسعود من تذكر كلّ شيء؛ فمرّة يكتب بصيغة الأنثى، ومرّة بصيغة الغائب، فكان التخبّط والضياع واضحين في سرده، حتى عندما وصف عائلته المكوّنة من خمسة إخوة وأخوات، لم يحدّد عدد البنات والبنين، بل وصفهم بـ الأولاد المشاكسين بصيغة الجمع، والشقيقات الصغيريات أيضاً بصيغة الجمع، وكان الأجدر أن يقول: شقيقتان أو ولدان، لأنّ عدد الأسرة هو خمسة أبناء، فكيف وضعهم جميعاً بصيغة الجمع؟

أما بقية سرده عن الشخصيات التي أثّرت في حياته والتقى بها في مراكز الأمن خاصة، فلم يتذكّر اسمًا لها ولا رسماً لأبعادها الداخلية أو الخارجية، واكتفى بالإشارة إلى أوصافٍ غامضة مثل: "شابّ كان الشرر يتطاير من وجهه، مما يوحي بأنّه غاضبٌ من كلّ شيء" (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ٤٢)، أو "رجلٌ أشقر الشعر، شائب، بلا اسمٍ ولا رتبةٍ ولا وصفٍ لملابسه" (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ٤٢)، ورجلٌ ثالث اكتفى بالقول عنه "تقديراً إنه الأعلى رتبة"، فضلاً عن شخصياتٍ أخرى غير مسمّاة (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ٥٤) كالشاب الذي افتعل معركة (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ٧٢)،



والمتحرش، والفنان المزعوم (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ١٠١) ورفيق مُلقَّب بالزين (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ١٠٦)، وغيرهم.

بهذا، يصبح الراوي الملتبس أداة لتصوير الشد والجذب النفسي بين الشخصيات، وكشف تناقضاتها من غير تدخل مباشر، ما يتيح للقارئ قراءة النص عبر عدسات متعددة، ويُبرز براعة الروائي في توظيف السرد كمرآة للوعي البشري المركب

المبحث الثاني: الشخصيات الرئيسية والأحداث في رواية نشيد الرجل الطيب

تتسم رواية نشيد الرجل الطيب ببنية سردية معقدة، تتداخل فيها الأحداث السياسية والاجتماعية مع رحلة شخصية داخلية غامضة. تكمن قوة الرواية في التحليل النفسي للشخصيات، الذي يقدمه الراوي الملتبس، ما يجعل القارئ غير قادر على الوقوف على حقيقة مطلقة لأي شخصية أو حدث بهذه الطريقة، يتحول السرد إلى فضاء تفاعلي معرفي، يتيح للقارئ التفكير والتأويل.

أولاً: مسعود الصانع - الشخصية الرئيسية وصراع الحياة والموت

مسعود الصانع هو المحور الذي تدور حوله الأحداث، وهو الشخصية الأكثر حضوراً في الرواية. بعد الحادثة المميتة، يعيش في مرحلة بين الحياة والموت، حيث تتلاشى لديه حدود الواقع والخيال، ويصبح وعيه متقلّباً بين ذاكرة مشوشة وهواجس داخلية.

يسمح لنا الراوي الملتبس برؤية العالم عبر وعي مسعود المضطرب، متخللاً بالعواطف، الذكريات المنقطعة، والانفعالات الحادة كما في وصفه لغرفة الإنعاش:

"الصورة أمامه غامضة، هل ما يراه حقيقة أم مجرد أوهام اعتاد أن يصدقها؟" (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ١٣).

يتضح أن الرواية بُنيت على ذاكرة مشوشة كأداة لتصوير الصراع النفسي، ما يخلق تجربة قراءة مشبعة بالتية والفضول.

ثانياً: غازي العبد - التوازن النفسي وتحليل العلاقات

غازي العبد يمثل شخصية ثانية محورية، يتم تقديمه من منظور مسعود، ما يجعل فهم دوافعه محدوداً وغير مطلق يظهر كعنصر توازن بين الشخصيات المختلفة، وتبرز وظيفته في السرد كأداة كشف للنفوس وموازنة للأحداث.

تقنية الراوي الملتبس تتيح للكاتب إبراز التناقضات الداخلية لغازي العبد، مثل حبه للعمل وتطلعه للنجاح، في مقابل تحكم الأحداث السياسية والاجتماعية به، من غير الكشف عن كل

تفاصيله. تجعل هذه الطريقة القارئ يتحمل مسؤولية التفسير والنقد، بدل أن يكتفي بالمعلومة السردية المباشرة.

ثالثاً: لمار - الغموض والوفاء الظاهري

تمثل لمار شخصية غامضة، فيظهر إخلاصها لظاهر الواقع، لكن الراوي الملتبس يترك العديد من التفاصيل الداخلية غير مكشوفة، فنظرة القارئ محدودة بما يراه مسعود فقط، ما يعكس قيود الراوي الملتبس على المعرفة المطلقة بالشخصيات .

تُبرز الرواية هنا أن الوفاء الظاهري لا يضمن معرفة القارئ بالحقائق الداخلية للشخصية، وتؤكد أن الرواية المعاصرة تتحرك بين الوعي الظاهر والضمير الخفي للشخصيات، مستغلة بذلك التقنية المبتكرة للراوي الملتبس.

رابعاً: الأحداث السياسية والاجتماعية وانعكاسها على الشخصيات

تظهر الأحداث السياسية في الرواية متمثلة بالتعامل مع مراكز الأمن، الاغتيالات، وملاحقة الشخصيات، تؤثر مباشرة على بناء الشخصيات وسلوكها. الرواية توضح كيف تتداخل السياسة مع النفس الفردية، وكيف يُستغل الراوي الملتبس لتقديم الأحداث من منظور شخصي محدود، مما يترك مساحة للتفسير النقدي.

الأحداث هنا ليست مجرد تسلسل زمني، بل نقاط ارتكاز لفهم الشخصيات وتناقضاتها عبر هذا الأسلوب، يتعلم القارئ أن التجربة الشخصية والسياسية والاجتماعية مترابطة، وأن الرواية تحاكي الواقع المعقد للأفراد داخل بنية المجتمع

خامساً: البنية السردية وتأثير الراوي على فهم القارئ

تُبرز الرواية براعة توظيف الراوي الملتبس في التحكم بالزمن، مكان الأحداث، ودرجة الكشف عن الشخصيات، فكل حدث أو وصف يأتي من منظور محدود، ويخلق طبقات متعددة من التأويل. هذه التقنية تمنح الرواية بعداً فلسفياً ونفسياً، حيث يصبح القارئ شريكاً في استخلاص الحقيقة، وليس مجرد متلقٍ.

المبحث الثالث: الراوي الملتبس وأثره في تشكيل الدلالة

يُعدّ الراوي الملتبس من أبرز التقنيات السردية التي تُسهم في تعميق البنية الدلالية للنص الروائي، إذ لا يقتصر دوره على نقل الأحداث فحسب، بل يتحول إلى عنصر فاعل في إنتاج المعنى وإثارة الأسئلة. فالراوي الذي يتخذ موقعاً غير ثابت بين الداخل والخارج، وبين المشاركة والمراقبة،



يجعل القارئ في حالة من التوجس والتأمل، فيغدو المعنى متعدد الطبقات، قابلاً للتأويل تبعاً لوجهة النظر التي يتبناها هذا الراوي.

وفي رواية "نشيد الرجل الطيب" يتجلى هذا الالتباس بوضوح من خلال تنقل السرد بين أكثر من صوت، وتداخل الرؤية بين الذاتي والموضوعي، مما يفضي إلى دلالات عميقة تمسّ جوهر الحقيقة الإنسانية وتناقضاتها. وبهذا يغدو الراوي أداة للكشف لا للبيان فقط، وسبيلاً لتوليد المعنى لا لتقريره، الأمر الذي يمنح النص طاقة تأويلية واسعة ويسهم في تشكيل دلالاته على نحو غير مباشر. يجهل القارئ كنه الأمكنة في الرواية، إلا ذلك المكان البعيد الواقع على الطريق السريع المؤدي إلى المطار؛ هناك حيث تتعدّد المسارب التي تنقل السيارات إلى عبدون ووادي السير وناعور، يقع منحى صغير يفضي إلى منحدر حادّ غير مسموح المرور منه نزولاً. في أقصى مجمّع للشباب والصبايا، وتحديدًا في الزاوية المخفية منه، يوجد محلّ التصوير العائد لمسعود الصانع، الشخصية التي وُسمت الرواية باسمها "نشيد الرجل الطيب". وقد كان اسمًا غريبًا لم يُعجب الجميع، ولا سيّما موظف غرفة الصناعة والتجارة، كما لم يستحسنه موظف أمانة العاصمة (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ٨٥).

ولعلّ اختياره لهذه التسمية إنما جاء لما تحمله من حركة مستمرة وإيقاع متردّد يوحي باضطراب الذهن وتقلّب التفكير، إذ إنّ لفظ "النشيد" يحمل في طياته نسقاً من التردد الذي يعكس صراع الذات الباحثة عن أجوبة لوجودها وإنسانيتها (توفيق، ٢٠٢١، صفحة ١٠٤).

لم تُسغه ذاكرته في وصف الشخصيات والأمكنة، حتى حبيبته الأقرب التي لم تتركه، بل قاسمته سريرته في نهاية الرواية؛ لم نعرف شكلها، ولا لون بشرتها، ولا هيئتها، ولا انفعالاتها. كذلك لم نعرف عدد إخوته وأخواته، سوى أنهم خمسة من غير تحديد أو تسمية واضحة. ويبدو أنّ هذا التعطيم في المسميات والأمكنة هو انعكاس لحالة سياسية واجتماعية مضطربة، وجهل قسريّ بالمكان، باستثناء بعض المواضع الواضحة مثل مركز الأمن والمحل، وبعض الأماكن التي يصارع الراوي نفسه لتذكّرها.

ولم تُشرق الشمس في الرواية إلا في عنوان أحد أجزائها "الشمس وأمي وأنا مسعود الصانع"، حيث كانت الشمس رمزاً لشقائه وشاهدةً على بؤسه، حتى الضوء - وهو ابن الشمس - لم يكن رحيماً به. كان صبوراً، احتمل أشدّ العذابات والضرب المبرح، مدفوعاً بفطرته الطيبة ونواياه الخالصة، واحتفاظه بكتبٍ محظورة جعلت من صديقه الطبيب حنا يُقدّم على الانتحار.



تتضح من ذلك معالم الرواية التي تمرّر رسالةً فكريةً مفادها أزمة اليسار العربي، وشغف الرأسماليين المتمثّل في محمد العبد وابنه الطائش الذي لم يقتد بأبيه، بل اتخذ لنفسه منهجاً خاصاً متأثراً بما يشاهده في السينما من أفلامٍ بوليسية، فقتل كلّ من حوله أو من حاول التلاعب بثروتهم وتجارتهن. أقدم على قتل أحدهم، وخطف أنيس الصانع وضربه، وبقي مفقوداً سنةً ونصف السنة. إنّ تصنيف الرواية - من خلال كلّ ذلك - هو سياسيّ بلامح فنية مغايرة في تقديم الشخصيات والأحداث، تقديمٌ بدا مستتبّاً من جهة الوصف، لأنه من زاوية نظر مسعود الصانع وهو في حالةٍ أشبه باللاوعي. وهنا تكتمل دائرة السرد الملتبس، إذ تتماهى الرؤية بالراوي، وتغدو اللغة مرآةً لعالمٍ غائمٍ تتنازعه الحياة والموت، والذاكرة والنسيان.

الخاتمة:

- الراوي الملتبس تقنية سردية حديثة تُحوّل الرواية من مجرد نقل للأحداث إلى إنتاج للمعنى وإثارة التساؤلات.
- الرواية الأردنية المعاصرة، مثل "نشيد الرجل الطيب"، توظف هذا الراوي لتعدد الأصوات وتناوب الضمائر، ما يتيح للقارئ قراءة النص عبر زوايا مختلفة وفهم أعمق للشخصيات.
- غياب الوصف التفصيلي للأمكنة والشخصيات يعكس الإشكالية النفسية والسياسية والاجتماعية في الرواية، ويترك مساحة للتأويل.
- الشخصيات المركزية (مسعود الصانع، غازي العبد، لمار) تُقدّم من منظور الراوي الملتبس، ما يجعل معرفة دوافعها وأفكارها نسبية وغير مطلقة.
- التقنية الملتبسة للراوي تُسهم في تعقيد البنية الدلالية للنص، وتخلق فضاءً للبحث المعرفي والتأويلي، إذ يشارك القارئ في استخلاص المعنى بدلاً من أن يكون متلقٍ سلبي.
- الرواية تعكس أزمة الإنسان العربي في سياق اجتماعي وسياسي معقد، وتؤكد على قدرة السرد على التعبير عن التوتر بين الفرد والواقع.

المصادر والمراجع

١. العذاري نائر. (٢٠١٣). لعبة السارد كلي العلم في رواية رأس الرجل الكبير لعبدان فرزات. شؤون أدبية.
٢. محمد عبد الله رفقة. (٢٠١٠). دراسات في الأدب الأردني: الرؤية والتشكيل. عمان: وزارة الثقافة.
٣. أبو لبن زياد. (١٩٩٩). حوارات مع أدباء من الأردن وفلسطين. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٤. يقطين سعيد. (١٩٩٧). تحليل الخطاب الروائي. بيروت: الدار البيضاء المركز الثقافي العربي.



٥. عبد المنعم ابراهيم علاء. (٢٠١١). أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي القديم. الدوحة: دار جامعة قطر.
٦. توفيق قاسم. (٢٠٢١). نشيد الرجل الطيب. لبنان: منشورات ضفاف.
٧. المجالي محمد أحمد. (٢٠٠٨). دراسات في الأدب الأردني المعاصر. عمان: دار يافا العلمية للنشر.
٨. السمرة محمود. (١٩٩٤). بحوث في الأدب الأردني الحديث. عمان: دار البشير للنشر.
٩. حداد نبيل. (٢٠٠٢). الأدب الأردني الحديث ملامحه واتجاهاته. عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١٠. أبو نضال نزيه. (٢٠٠٥). الرواية الأردنية اتجاهات ومضامين. عمان: دار أزمنة للنشر والتوزيع.

References

1. Abdullah, R. M. (2010). Studies in Jordanian literature: Vision and formation. Ministry of Culture.
2. Abu Laban, Z. (1999). Dialogues with writers from Jordan and Palestine. Arab Institution for Studies and Publishing.
3. Abu Nidal, N. (2005). The Jordanian novel: Trends and themes (1st ed.). Azmina Publishing and Distribution House.
4. Al-Adhari, T. (2013). The omniscient narrator's game in the novel The Head of the Big Man by Adnan Farzat. Literary Affairs, (64.)
5. Al-Majali, M. A. (2008). Studies in contemporary Jordanian literature (1st ed.). Yafa Scientific Publishing House.
6. Al-Samra, M. (1994). Studies in modern Jordanian literature (1st ed.). Al-Bashir Publishing House.
7. Haddad, N. (2002). Modern Jordanian literature: Its features and trends (1st ed.). Arab Institution for Studies and Publishing.
8. Ibrahim, A. A. M. (2011). Narrator patterns and their functions in classical Arabic narrative (1st ed.). Qatar University Press.
9. Tawfiq, Q. (2021). The anthem of the good man (1st ed.). Difaf Publications.
10. Yaqtin, S. (1997). Analysis of narrative discourse: Time, narration, and focalization (3rd ed.). Arab Cultural Center.

JOBS



مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science



Print -ISSN 2306-5249

Online-ISSN 2791-3279

العدد التاسع والأربعون

٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ



مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية